

رواية يوماً ما

عزام الورق





azamalward@gmail.com



<https://t.me/azamalward>



[@AzzamalwardBot](#)



<https://www.facebook.com/profile.php?id=61550631869311>

المقدمة:

حين تعرف أن فكرة هذه الرواية خطرت لفتى في العاشرة من العمر، ستهكم قائلاً: « لم أضيع وقتي عليها؟ ».

أنا أكتب لأنني أحب أن أكتب، لأنني حين أكتب، أشعر، وأنا أحب هذا الشعور، لا أكتب لتعجب!.

يوماً_ما#

ستعيش أحداث إحدى شخصيات هذه الرواية، من يدري ربما أنت بالفعل تمثل إحداها.

إهداء:

إلى الذي في قلبي.

عاد الموظف الشاب ريدان من عمله، يحمل حقيبته التي كانت تحتوي على أوراق غير مهمة، أغلبها كان صفحةً بيضاء، لم يكن يحملها إلا ليقال موظف، فلم يكن عمله جيداً ولا يعود عليه بما يكفي لمعيشته ويغطي حوائجها، ولكنه كان الخيار الوحيد المتوفر لديه في الوقت الحالي لم يكن العصيم الذي يغطي وجهه وسائر أعضائه (كأنه قطعة قماش إبتلت) إلا ناتجٌ عن الحر الشديد والسير المتواصل إلى منزله مشياً على الأقدام، ارتدى على الكرسي المتهالك بجسمه دون مراعاةٍ لأي شيء قد يُصيب جسمه بأذى.

تذكر أباه الذي مات تاركاً خلفه ثلاثة أولاد ليعولهم، وأمه التي تنتظره لإرسال المال لهم، أخرج محفظته موقناً أنه لا يوجد فيها ما يكفي لنفسه، - فإيجار الغرفة وفاتورة الكهرباء تراكمت عليه من شهور، مرتبه الجهد الذي يكسبه من عمله كمحاسب في إحدى الشركات الصغيرة لا يكفي، ولم يكن يحصل على بدلات وتعويضات أو أي تأمين فالحرب أنهكت الدولة، ولم تكن هنالك رقابة على الشركات الصغيرة، وفشى الفساد في المنشآت والشركات وهيكل الدولة - فرماها واغرورقت عيناه محتضناً الكرسي في ألم .

يوماً ما

الصمتُ يعم أرجاء غرفته المبعثره، وعتمة الليل حالت بينه وبين رؤية أي شيء. تزاхمت الوسائس، وتمتمات ترددت على شكل جمل متسائلة في ألم : « لم عليك العيش هكذا؟! مرتب زهيد!، وأطفال بدون زوجة! » اعتلته نوبة بكاء شديدة، ثم تناول نهدة ممزوجة بالألام والكآبة والرجاء والرضا قائلاً «ياالله» .

كان يوماً أروناناً عليه ، واجتمع عليه : ليل عكاس، وجوع ديقوع، وحرّ لافح، ونصب شديد، لم يكن يعرف إلى أين سيصل، كان كل مايرجوه هو الإطمئنان في حياته وأن يعيش كبقية الناس.

ظهرت آثار الوسمي على زجاج النافذة، وأودقت السماء، وجاد المطر، كان الغدق بمثابة مطفأة أخدمت أجيح أفكاره. بات الصمت يخيم على زوايا الغرفة، وبدأ النعاس ينطلي على عينيه المرهقتين، فهام على وجهه، وحبى بجسمه الناحل نحو السرير،

يوماً ما

ثم همم بلهجة غاضبة مخاطباً السرير: « متى نبذلك بأريكه؟ (يقصد الزواج) »، ثم أخذه النوم في عجل، أوقف عجلة تفكيره المفرط، متمنياً لنفسه أحلاماً سعيدة، ويوماً جديداً مليئاً بكل ما يريد، لم يكن يرغب بأي شيء سوى أن يحصل على ما يكفيه هو وأهله ويسد رمقهم.

في بكور يوم جديد، انبجحت الشمس بوهجها على وجه الشاب، وكأنه بات بالأمس بحالته الجزعة تلك على فلاة. جف ريقه، وكاد أن يتضور من الجوع، بدأت الشمس بالإحتدام عليه. أفاق فاتحاً عينيه النجلاء بهدوء، كان أول ما لمحته عيناه أشعة الشمس الحارقة، رفع رأسه واستشرف المكان، جالت عيناه على صعيد. حذق بعدم إستيعاب محاولاً فهم ما يجري حوله، بالأمس كان في غرفة من أربعة جدران، وأصبح اليوم في أرض جدياء يحيطها الفراغ من كل جانب، أصابه الشلل لبرهة، ثم أغمض عينيه محاولاً الإستيقاظ من

الحلم. فتح إحدى عينيه بهدوء لعله يرى سقف غرفة، ولكن محاولته باءت بالفشل، فنظرته كانت تسرح في فراغ السماء الذي تنطلي عليه أشعة الشمس.

زال الشلل عن جسمه وبدأت أعضائه بالتحرك شيئاً فشيئاً أتكأ على يديه ناهضاً، ثم نفخ الفخار، ثم استدار لكي يستكشف المكان، دار حول نفسه عدة دورات تارة ينظر إلى الشمال، وتارة أخرى إلى الشرق، فإذا أصابه اليأس من رؤية أي شيء يلتفت إلى الجنوب ثم إلى الغرب، كانت بوصلة استكشافه لا تشير إلى أي مكان، تسارعت نبضات قلبه بالخفقان، وهمهم متسائلاً بصوت متقطع «هل مات الجميع؟!».

بعد أن مكث حتى الهاجرة في الأرض الجدباء يفكر ملياً،
قادته أفكاره إلى التحرك، فلم تكن تحتوي طاولة اختياراته
إلا على خيار التحرك، فكر في أي جهة سيمشي، اطمأن
قلبه ورغبت نفسه في الاتجاه نحو الشرق، بدأ السير وخبط
في سيره محاولاً النجاة بنفسه من الجوع والظماً أو من
الوحوش التي تظهر مع بدء العشي، كانت تلك مجرد
احتمالات يضعها احترازا من الموت الذي يراه وشيكاً،
بينما هو على حالته تلك، عائماً بين أفكار الموت والنجاة
منه، طرقت مسامعه أصوات احتفالات مختلطة، تأتي من
مكان بعيد، تسمر في مكانه لبرهة، ثم انطلت على شفتيه
ابتسامة نجاة، ركض نحوها بسرعة، فبينما هو يجري رأى
رجلاً يتجه إلى مصدر الأصوات كأنه يقصدها، امتلأت عيناه
بالدموع وكأنه رأى أمه بعد غياب طويل، فهو وسيلة نجاته
في هذه الأرض. تحرك نحوه بخطوات راجية، محاولاً
مجارته في السير والوصل إليه، وصل إليه والعرق يكسوه
والظماً يكاد أن يقضي عليه، نظر إليه بعينين متوسلتين
وتلعثم قائلاً : « أعطني شربة ماء ».

يوماً ما

بعد أن انتعش جسمه وهدأت نفسه واطمأن قلبه، قال للشخص الغريب : " شكراً لك لولاك لكنت الآن في عداد الموتى ". رد الرجل ببرود : " العفو " .

كان الرجل الغريب يتفرس في وجه الشاب في صمت ويقوس حاجبيه استغراباً، خاف الشاب من نظراته الثاقبة وقال : " ما اسمك ؟ "

أجابه وهو يبتسم في ذآبة بانته على محياه : " أبلس ،

وأنت ؟ " .

- ريدان .

- أهلاً بك يا ريدان سررت بمعرفتك .

ساد الصمت لهنيهة، ثم بادر ريدان في الحديث متمتماً وهو يحاول تدارك أسئلته التي تعج في كيانه : " ما هذا المكان ؟، إلى أين أنت ذاهب ؟ ... " .

يوماً ما

كان بحوزته الكثير من الأسئلة المتعطشة للإجابة، أجابة أبلس وقد إسترخت ملامحه " مابك؟ هدد من روعك!، سأجيب عنك، لا تقلق، إلى أين أنت متجه؟".

كانت كلمات أبلس مرهماً لأفكاره، استرخت ملامحه، وأجابه متذوقاً تنهيدة عميقة :

- لا أعرف، لا وجهة لي.

-اممم، إذا لماذا كنت تركض؟ .

- كنت متجهاً نحو الأصوات .

- هي وجهتي أيضاً، هيا سنتحدث في الطريق .

كان يريدان يتحدث عن نفسه في ثغثة، وعن الأمور التي جرت له، وكيف أنه كان بالأمس في غرفته، وأصبح في أرض لا ماء ولا زرع فيها، أشاح أبلس وجهه في سخرية، وتهانف حتى رجع القهقري، وأضاف في تهكم : " هل تمزح أيها الشاب؟ " .

يوماً ما

رد ريدان في إصرار: " أنا أقول الحقيقة "

أطرق أبلس مفكراً في سخريّة: " يبدو أن القيظ أصابك والسّراب أحاطك وبت تهذي! "

أدرك ريدان أن أبلس لن يجيب على بعض أسئلته، ولكن بإمكانه الإجابة عن الأخرى، قال مستدركاً في حدة: إلى أين أنت ذاهب؟ "

- إلى أرض العاجلة.

- ما أرض العاجلة؟

- هي أرض الملكة.

صرخ ريدان محاولاً إخفاء إنفعالاته:

- ما هذا؟! ، هل تقايضني الكلام؟!، تحدث بكل ماتعرفه!

يوماً ما

ابتسم أبلس في دهاء خبيث، ثم هتف محتجاً : " إذا دعني أكمل ولا تقاطعني "

أوما ريدان برأسه موافقاً، واستقرت نظراته على الطريق بينما أذناه تنصتان باهتمام بالغ.

بدأ أبلس حديثه وهما مترادفان في السير قائلاً : " أرض العاجلة، أرض طيبة التربة وكريمة المنبت، أرض دفيئة، وروضة فيحاء . تحكمها الملكة: امرأة غانية عن كل زينة، سادت نساء الدنيا حسناً وجمالاً "

أطرق ريدان مفكراً، ثم رفع رأسه متسائلاً : " وما شأنك بها ؟ "

تربّد وجه أبلس من الغضب، ثم أضاف في إنزعاج : " قلت لك اصفي جيداً ولا تثرثر "

التصقت نظرات ريدان بالأرض، وهمس في حياء : " متأسف، تابع حديثك "

تابع أبلس حديثة قائلاً : " أما أنا فوزير الملكة ، أعرف أنك تجمعم الآن في صدرك سؤالاً محتاجاً إلى إجابة، إنك تتسائل لما تقام الإحتفالات ! ، ستقيم الملكة مسابقة ومن يفوز بها يتزوجها ويصبح الملك له، وكل مقاليد الحكم توكل إليه فهو الناهي والأمر وصاحب الحق".

ثم أضاف مستدركاً : " مارأيك في المشاركة ؟ "

أطرق ريدان مفكراً لبرهة ثم قال : " وهل يحتاج ذلك إلى التفكير؟، نعم سأشارك بالطبع " .

قاطعاه أبلس قائلاً : " لقد وصلنا " . نظر ريدان إلى الأسفل وتبين أنهما كانا يمشيان على هضبة، رفع رأسه قليلاً فرأى مدينتين متجاورتين، الأسوار تحيطهما، مدينة شاسعة أزقتها مزدحمة والجلبة والضوضاء تعم أركان أسوارها، ومدينة مسورة، مبانيها قليلة، ويظهر عليها الزهد، استغرب ريدان من الفوارق الكبيرة بين المدينتين، ومن تجاهل أبلس الحديث عن المدينة الأخرى، قال أبلس متناولاً تنهيدة : "سنستريح هنا حتى الصباح" . وأشار بيده إلى المدينة المزدحمة قائلاً : " هذه العاجلة " .

يوماً ما

قاطعه ريدان بدوره متسائلاً: " وهذه المدينة ما اسمها ؟ ، هل هي تابعة للعاجلة ؟". أشاح أبلس بوجهه وقال : " لا، يا صديقي إنها تسمى أرض المأوى، سأكلمك عنها فيما بعد، دعني استريح الآن ."

انطلى الشفق على الأفق، وقعد يفكر تاركاً العنان لأفكاره، كانت أضواء العاجلة وأصوات الطرب واللهو التي تتصاعد تطرق مسامعه بحدة ، بينما المدينة الأخرى ساكنة وكأنها مدينة خلاء، إلا أن الأضواء المشتعلة و بعض الحركة تدل على أن هناك حياة فيها. غطّ أبلس في النوم بسرعة وأمرغ، أما ريدان فرنق النوم في عينيه والهاجّت، وطرق النوم مصراعها واستسلمتا للتبّات.

يوماً ما

بزغت الشمس وأسفرت بأشعتها على أزقة المدينتين، ولفحت وجه ريدان بلطف، معلنة يوماً جديداً. هبّ ريدان من نومه، ثم رفع يديه مستشرفاً المكان، استوضح أبلس فلمحه بجانبه ما يزال يمكث في مكانه، كان ريدان يرنوه بعينيه في شيء من الهلع فهو وزير الملكة ، ولكنه كان يستغرب من عدم وجود حراس بجواره.

لم يحاول ريدان التفكير في حياته السابقة، بالأحرى هو نسي كل شيء، كل ما يعرفه أنه على موعد مع معركة للفوز بالملك والجاه والمال، وكأن حديث أبلس وصفة سحرية لكي ينسى كل شيء ويظل مركزاً على المسابقة.

استيقظ أبلس ثم قال في عجلة : « لقد تأخرنا هيا نتحرك». ثم نسل في مشية، لحقه ريدان القمصلة خطوة بعد خطوة بينما كان ريدان يلحقه وبينهما مسافة أقدام، رأى أبلس يسلم على شخص ويتحدثان. أسرع في خطواته فتناهى إلى مسامعه صوت الرجل الغريب وهو يقول : " هل يمكنك أن تدلني على الطريق إلى العاجلة ؟ " .

يوماً ما

وصل ريدان ثم سلم عليه وأخبره بأنه ذاهب إلى العاجلة أيضاً، ثم اتفقا على السير معاً، ما إن أنهيا حديثهما إلا وأبلس تبخر من المكان، اختفى ولم يعد له أثر. التفت ريدان يبحث عن أبلس ولكنه لم ير شيئاً، قال الرجل الغريب لريدان مماًزحاً : " إن صاحبك سريع في المشي".

استغرب ريدان من إخفاء أبلس وترددت في أذنيه جملته التي كان يتمتم بها أثناء مشيه قبل أن يختفي : « من هنا نبدأ».

قاطع استغراب ريدان حديث الرجل الغريب وهو يحثه على المسير : « هيا لنتحرك ».

قال له ريدان : « لم تسأل عن الطريق والمدينة أمامك ؟».

أجابه محرماً لسانه بشكل دائري على شفثيه الرّيدة : « لا ضير في التأكد، هل يزعجك سؤالي ؟ ».

يوماً ما

- ، لا، لا يزعجني البتة بل كنت مستغرباً فقط .
- اممم، حسناً.
- ما اسمك ؟
- قصي، وأنت ؟ .
- ريدان، هل ستشارك في المسابقة ؟ .
- نعم .
- ما الدافع ؟.

أدار قصي كعادته لسانه على شفتيه وقال في حزم وإصرار : « إنه المال، لا يهمني جمال الملكة بل يهمني ماتملكه ».

تابعه ريدان في صمت متعجب مستغرباً من حبه الشديد للمال، ثم بادره قصي بسؤاله : « وأنت ما الدافع ؟ ».

- اممم، أنا، ما الذي يدفعني للمشاركة؟!، لا أعرف كل شيء، أريد الحصول على كل شيء .».

بعد مدة من الزمن وبعد حديث قصي عن المال وكيف أنه هائم ببريق ذهبه أو بصوت أوراقه ورائحتها، وكيف أنها تدخل السرور إلى قلبه، بعد سويغات من حديثهما ، وصلاً أخيراً إلى أمام المدينتين .

IA

يوماً ما

هل يمكنني الاختيار؟

يوماً ما

تكبدت الشمس السماء ، و تزاخم الناس و تدافعوا ، كانت الجموع الغفيرة تتجه نحو العاجلة. لاحظ ريدان توقف الناس لبرهة عند رجل يحدثهم ويعطيهم أوراق ثم يذهبوا ؛ البعض كان يقرأ الورقة ثم يتجه فوراً باتجاه مدينة المأوى والبعض كان يسخر منها ويرميها على الأرض ويتابع مشيه نحو العاجلة، والبعض الآخر يدسها في جيبه ويتابع طريقه نحو العاجلة، وصل ريدان وقصي إلى الرجل، نظر إليهم الرجل مبتسماً ثم قال:«خذا هذه لعلها تنفعكم». أخذ قصي الورقة وقال لريدان :« الحقني ».

بينما بادر ريدان لأخذ الورقة، اعترضته يدٌ أخرى، رفع رأسه لكي يرى من أعترض طريقه، رأى امرأة حسناء فائقة الجمال سوداء الناظر، ديباجة الوجه، معطال، نظر إليها ريدان ورمقها بعينيه وظل يرنوها لبرهة من الزمن، أفاق من غفلته ، ثم أبعد يده بسرعة. خجلت المرأة من صنيعه، وتورد خداه.

ظل ريدان يتسائل في حيرة لم غاص في عيني تلك المرأة، لم راوده شعور غريب تجاهها؟، أيقظه من غفوة تساؤلاته صياح قصي وهو ينادي عليه ويقول : « هيا لنذهب ».

صرخ عليه قصي في غيظ قائلاً : « ما الذي جرى لك؟، هل تسمرت في مكانك ؟ ».

قاطع صوت غريب حديثهما مجيباً عن تساؤلات قصي الساخطة قائلاً : « إنه يحب، وأعتقد أن هذه أول مرة يفعل ذلك ».

التفت إليه ريدان وتابعه في صمت منذهل، قاطعه قصي في تهكم : « نحن جئنا من أجل المسابقة، لا لكي نحب، انتبه يا ريدان، لا تمكرن بك إحدى المشاركات لكي تكون جسراً لها للوصول إلى بر الفوز ».

يوماً ما

ألح ريدان في سؤاله على الرجل وقال في تلهف : « من أنت؟ وما أدراك بذلك؟ ».

قال الرجل والغثور باد على عينيه : " « أنا تيم، وأنا أعرف أشياء كثيرة عن النساء، وكل ما دفعني للمشاركة هو حسن الملكة وجمالها ».

قاطعه قصي في تهكم قائلاً : « اختصر وقل زير نساء ».
رد عليه تيم ببرود : « تقصد فارس أحلامهن ».

قال قصي في تهكم مخاطباً ريدان : « دعك من هذا المغفل، دعنا نقرأ ما في الورقة ».

كان ريدان يتابعهما في صمت بالغ، وتوصل إلى رأي هو أنه لا يفكر في المرأة مرة أخرى لأنه لن يراها ثانية .

فتح قصي الورقة ووجد مكتوب فيها « مرحباً بالضيوف الكرام والنزلاء الأعزاء ترحب مدينة المأوى بكم وتسعد بزيارتكم ...»

صرخ قصي في احتجاج : « ما هذا؟ نحن نريد العاجلة ».

قال له ريدان مهوناً : « دعنا نكمل القراءة، هم لم يجبرونا على شيء، لعله خير لنا ».

تابع قصي القراءة « ... فإن مسابقتنا رائعة وجميلة، ليست بحجم مسابقات العاجلة أو بعدد المشاركين فيها، ما يميزها عن غيرها هو أنها يسان فيها دمكم وأخلاقكم وحقكم، كما أن المسابقات تقام على مبادئ أخلاقية وقوانين، قد يكون العائد ليس بالكثير ولكنه أروح للنفس، قديكون زهيداً وبريقه ضئيلاً ولكنه مبارك لا ينفذ ...»

يوماً ما

أغلق قصي الورقة في غضب وقال : « ماهذه الترهات؟! المال القليل لا يكفي، والمال الزهيد لا يروي عطش جيوبي ».

قال تيم : « لا يهمني المال، دعنا نكمل، ماذا تحدثوا بشأن المرأة؟! ».

أخذ تيم الورقة من يدي قصي وتابع القراءة « أما بشأن المرأة فلك الحق في الزواج من عدد قليل من النساء، وكل هذا بالتراضي، وأن تعمل على ارضائهن والعيش بسعادة معهن، ولا تقوم بتسليم النساء كجوائز، وبالنسبة للنساء المشاركات عليكن ماعلى الرجال، يحق لكن امتلاك ما يمتلك أي واحد منهم ، ماعدا أمر الزواج فلكن الحق بالزواج من رجل واحد فقط ».

مزق تيم الورقة في غضب : « هذه ليست مسابقة، ولا حياة، هذه عبودية » .

أخرج ريدان ورقته لكي يكمل قراءتها، متجاهلاً غضب رفيقيه « أما بالنسبة للسلطة أو النفوذ فلكل شخص الحق في أن يكون رئيساً علينا وبيننا وبينه الشورى، له حق إمتلاك الأراضي بأي قدر يشاء، ولكن بجهده وعرق جبينه.

وكونوا على علم أن ما بعد المسابقة خير من مدينة العاجلة وما فيها، ونحذركم من الملكة ووزيرها أبلس فإنهما محتالان ، وأن كل مايعدان به لن تحصلوا عليه، وربما لن تنفذوا بجلدكم بعد أن تشاركوا في مسابقتهم الوهمية والدموية والغير أخلاقية والزائلة، هذا كل شيء دمتم بخير».

يوماً ما

حزم كل من قصي وتيم أمرهما في التوجه نحو العاجلة، احتار ريدان، هل عليه التوجه إلى المأوى، ويرضى بقليلها ويصدق أقاويلها ربما أنها خير من العاجلة؟! ، أم أن عليه أن يفامر ويذهب إلى العاجلة؟!، ولكنه كان متخوفاً من الكلام الذي قرأه للتو، هل من الممكن أن يكون أبلس مخادعاً؟ ، كان ما يمنعه من التفكير به كمخادع هو أنه كان طيباً معه وأنه لن يستطيع خداعه. طرق سؤالاً مبالغتاً محتاراً في رأسه، « يا ترى! ، إلى أين ستتجه المرأة التي قابلتها؟ ».

يوماً ما

هل يمكنني التراجع؟

المسابقات

يوماً ما

بدأ حراس العاجلة في تنظيم الصفوف وترتيب المتسابقين كان بعض المشاركين يتراجعون في آخر خطوة لهم، عندما يقول له الذي يقوم بإستقبال المشاركين : « هل أنت متأكد؟ ». , يتراجع ويذهب صوب المأوى.

ماتزال الحيرة تعم أفكار ريدان، هل يواصل أم لا؟، كان هذا القرار يحتاج إلى إجابة رشيدة و بأسرع وقت ممكن، كان يتساءل هل يمكنه التراجع إذا خاض عدة مسابقات؟!، قاطع أفكاره تلك صوت الفتاة التي التقى بها من قبل وهي تسأل الحارس : « هل يمكنني أن انسحب في أي وقت من المسابقة؟ » .
أوما الحارس برأسه دليلاً على قبول شرطها وإجابة على سؤالها.

تسارعت نبضات قلب ريدان بالخفقان، وباتت ترقص طرباً برؤيتها، لم يكن يعرف لم يداهمه هذا الشعور عندما يراها، بالرغم بمعرفته بها إلا من مدة قصيرة إلا أنه يحس أنه يعرفها منذ زمن طويل ،دخلت الفتاة قلعة المدينة، وقرر ريدان أخيراً وبدون تردد أن يشارك في المسابقة ، لكي يلحق بالفتاة، بإمكانه أن يتراجع متى ما شاء، في حين أحس بمكر أو خديعة أثناء المسابقات .

دخل المشاركون جميعهم إلى ميدان المدينة بعد أن مر فوج سككها والبعض الآخر أزقتها، لكي يصلوا إلى الميدان، ثم تبعثروا على أرض الميدان الذي بالكاد يسمعهم، انتظروا لبرهة من الزمن، حتى دوى صوت البوق أرجاء الميدان، مخترقاً الأصوات المختلطة التي كانت تعمه. صمت الجميع منتظرين ما سيحصل، ثم نادى حاجب الملكة بصوت عالي : « جلالة الملكة ، قفوا احتراماً لها ».

وقف الجميع محدقين إلى الحاجب منتظرين قدوم الملكة، كان لعاب تيم يسيل بشده لأنه سيرى أجمل امرأة على وجه الأرض وأجمل ملكة، أما قصي فكان يتأفف في ضجر ويقول : « متى سنبدأ ؟ ». ، كان يقف بجوارهم شخص بان على محياه الخبائة واللؤم ، كان يتمم في عجل وفي ذآبة خبيثة : « متى سأحكم هذه الأرض ؟ ، لا أستطيع التحمل أكثر من ذلك ».

لم يطمئن قلب ريدان لهذا الشخص، لأن عنده قناعة راسخة بأن كل من يطمع في الحكم أو يسعى إليه نذل وكل ما يسعى إليه هو السلطة والنفوذ والتجبر في الأرض والظلم من أول صفاته.

يوماً ما

أشاح ريدان وجهه عنه في اشمئزاز، ثم استقرت نظراته بالقرب من الحاجب، منتظراً ما ينتظره الجميع، وبعد مدة من الزمن أطلت الملكة أخيراً ، كانت امرأة لا مثل لها بالفعل خميصة البطن دقيقة الخصر ، ممشوقة القامة، وسجاجة الخدين، جلواء الجبهة، رعبوبة الجسم .

ذهل الجميع من حسنها وجمالها، صاح تيم بأعلى صوته : « إنها امرأة عيطل، حبكي في مشيتها وجميلة في حسنها، تستحق أن نتقاتل من أجلها، يا الهي ! ، ماذا سيحصل لي إن لم أحصل عليها ربما أموت غماً وصبابة .»

كان الجميع مذهولين برؤيتها حتى قصي الذي لم يهمله يوماً إلا المال. بعد أن جلست على عرشها وقف بجانبها وزيرها أبلس، وحيها الجميع وقال لهم : « أهلاً بكم، الملكة تحييكم وهي مسرورة برؤيتكم، وتتمنى لكم التوفيق، وتقول من يفوز يحصل عليها فيكون بعلاً لها وملكاً على مملكتها وسيد جيشها، ووترجوا أن يكون شخصاً جديراً بها، وأن تحبه ويحبها، هيا فلتبدأ المسابقة .»

بعد أن أنهى أبلس كلامه، لمح ريدان وابتسم ابتسامة خفيفة، ثم اقترب من الملكة وهمس لها، ثم أشار بيده إلى ريدان، فنظرت إليه في صمت وهيبة الملكة مطلية على وجوها، ثم اختتمت ذلك بابتسامة طفيفة ثم التفتت. نظر ريدان في شيء من الخوف وكان يتمتم ويقول: « ماذا يقول لها؟ ، هل يقول لها أنه صاحبني؟ أم أنه يسخر مني؟، إنه أحمق سيشوه صورتي أمام الملكة.»

انتظر الجميع المسابقة الأولى بشغف، دق ناقوس المسابقة واصتف الناس، ظهر أبلس مرة أخرى وقال « ادخلوا من هذا الباب، من يصل إلى الجهة المقابلة يفوز في هذه المرحلة.»

تعجب الجميع من هذه المسابقة، كانت تتعالى همهمات متسائلة في سخرية: « من لا يستطيع الوصول أحمق لا محالة.»

فُتح الباب وتأهب الجميع وصاح المنادي وقال : « هيا ليبدأ الجميع » .

بدأ بعض الناس بالتقدم في تردد، ثم توقفوا لبرهة، كانت أفكارهم تتجول في رؤوسهم في حيرة، والجميع ينظر إلى بعضهم البعض على شكل تساؤلات تتقاذف من على محياهم، لعل أحدهم يمتلك الجرأة ويطلق العنان لأقدامه ويتقدم.

كانوا يريدون أن يتقدمهم أحدهم لكي يكون لهم كفأ تجارب.

كان البعض يخاف من وجود وقت محدد للمسابقة إذا انتهى تنتهي المسابقة ويكون من الخاسرين، والبعض كان يخاف من وجود كمين.

يوماً ما

أخيراً امتلك احدهم الجرأة وتقدم يجري بسرعة كبيرة، كانت المسافة إلى الجهة الأخرى طويلة للغاية، جرى المتقدم، والناس تنظر إليه في دهشة، البعض اعتلته قعشيرة باردة وهو يراقبه، والبعض ينتظر متى سيصل، والبعض الآخر يترقب متى سيتم الفتك به.

خاب ظن من يترصد به شراً، ووصل الشاب إلى بر الأمان، وكان أول متسابق يفوز. ما إن وصل الشاب قفز طرباً بفوزه.

تملكت الجرأة قلوبهم وانطلقوا كلهم دفعة واحدة، ما إن دخل آخر شخص البوابة أغلقت .

بينما هم يمرون كان بالقرب من ريدان رجل يمشي ويتهمكم : « هل ستكون المسابقات كلها هكذا ؟، على هذا النحو كلنا فائزون».

ما إن أنها الرجل كلامه إلا واخترق رأسه سهم عائر، وتلطح وجه ريدان بالدم. فزع الجميع، لم يكن ذلك الشخص الوحيد الذي اختراق امتراق الأسهم جسمه، بل كانت السهام تسقط عليهم كوقع المطر. كان الحراس على أسوار المدينة قد وقفوا يصويون نحوه، كان وشيخ السهام يخرق رؤوس وبطون الجمع الغفير بدون رحمة، تأكد الجميع أنهم وقعوا في الفخ، ثم هرعوا في السير بشده.

كان البعض يحمل جثة ويحتمى بها من السهام ويتحمل مشقة حملها إلى أن يصل إلى الجهة المقابلة، أصاب ريدان سهم خوار، لم يصبه بأذى بالغ، داس الكل بدون استثناء الجثث التي كانت في طريقهم، ولم يعيروا أي اهتمام لصرخات النجدة التي كانت تملأ المكان.

يوماً ما

وصل أخيراً ريدان إلى بر الأمان، فّص جرحه على ثيابه والبقعة التي يقف عليها، وقف ريدان واضعاً يديه على ركبتيه يتنفس الصُّعداء، يحاول إرجاع أنفاسه إلى صدره، بعد برهة من الزمن وصل قصي وتيم وهما يحملان جثة اتفقا على أن يحملها معاً لكي تحميهم من السهام، اندهش ريدان مما رأى وصرخ في غيظ : « ما الذي تفعلاه؟! ».

ردا عليه بدورهما في غضب : « مالذي تريده؟! أن نموت هاه !! ».

أشاح ريدان بوجهه عنهما في انزعاج واشمئزاز، ثم أدار يده إلى خلف ظهره لكي ينتزع السهم، انتزعه بشده بالغة، وشهق بصوت عالٍ في تألم، ثم التفت يرقب بقية المشاركين، فإذا به يرى الفتاة التي التقى بها، جريحة في كتفها تحبو بجسدها نحو بر الأمان، نظر إليه قصي وقال وهو يبتسم في سخرية « لا تقل لي بأنك سوف تذهب لنجدتها، تيم من سيخاطر بنفسه من أجلها، أليس هو نديمهن وفارسهن؟».

نظر إليه تيم في سخرية وقال: « هل تعتقد بأنني سوف أفعل ذلك حقاً؟! ».

دفع جسم ريدان شيء غريب، وشجعه صوت في كيانه وحفزه على إنقاذها، نظر كل من قصي وتيم إليه وهو يتقدم وصاحا في إستدراك « هيه، إلى أين أنت ذاهب أيها الأحمق؟ ، ستموت لا محالة ».

لم يلق ريدان بالاً لندائهما وهم في إنقاذها، جرى النّثقة ونثر الحصى، ثم وصل إليها رفع يدها على كتفه وظل يسحبها، كانت السهام تسقط بجوارهما مما أثار الرعب في قلبيهما، قالت الفتاة له وهي تأن ألما: « لم تنقذني ؟ ».

قال ريدان وهو يتنفس الصعداء: « لا يهم المهم دعينا ننجو الآن ».

قالت الفتاة في شفقة: « دعني وشأني، انج بنفسك، لم يكن عليك إقحام نفسك والرجوع لمساعدتي، اذهب أرجوك ! ».

لم يسمع ريدان صوتها ولم يخضع لمطالبها وجرها محاولاً النجاة، كانا بحاجة إلى معجزة لكي يتم إنقاذهما، لمح ريدان أبلس وهو يأخذ القوس من يدي الحارس ويصوب عليهما، ارتعد ريدان منه وظل يترقب متى سيخترق السهم جسمه، ولكن محاولة أبلس باءت بالفشل الذريع، فوتر القوس انقطع ووصل إلى الجهة الأخرى بأمان .

يوماً ما

صرخ قصي في انشراح : « إنها معجزة ، أحسنت يا صديقي، أنا فخور بك» .

ثم التفت إلى تيم وقال في سخرية وتحريض : « انظر إلى الرجال كيف يصنعون إذا ما احبوا، فاز بقلبها، أنت فاشل تفلح بالثرثرة فقط، الحب بالأفعال لا بالأقوال، لم يكن الحب يوماً مجرد كلمة تقال» .

رفع تيم عينيه في تكبر وتجاهل وأشاح بوجهه، أمسك ريدان بقميص قصي وقال في إنزعاج : « ماالذي تقوله يارجل ستسمعنا» .

أمسك قصي بيد ريدان وقال : « لتسمع، عليها أن تشكرك لأنك أنقذت حياتها» .

قاطع حديثهم صوت أبلس وهو يقول : « مبارك للفائزين، لقد اجتزتم المرحلة بنجاح» .

صاح الجميع وتداخلت أصواتهم الساخطة مما جرى قبل قليل، فأعدادهم الآن لا تتجاوز العشرات.

صاح أبلس : « ما بكم؟!، هذه هي المسابقة، لقد خيرنا كل شخص يدخل إلى هنا وقلنا له هل أنت متأكد وستحمل العواقب، من يريد المتابعة الآن فليتابع ومن أراد فعلية الإنسحاب، لم يتبق سوى قليل من المسابقات.»

خيم الصمت على الجميع، وقرر جلهم الإنسحاب والعودة إلى أرض المأوى، البعض كان لا يجد خياراً له بعد أن رأى جثث أحبابه المداسة إلا الإنتحار.

غادر الجميع ولم يتبق سوى ريدان والفتاة وتيم وقصي والرجل الذي كان يطمع في الحكم.

لم تبقي السهام إلا عدداً قليلاً من المشاركين، والشردمة الباقية لاذوا بالفرار بجلودهم، أما ريدان فقرر البقاء والفوز في المسابقة، والقضاء على كل من قام بالمذبحة وأولهم أبلس.»

أما الفتاة فقررت البقاء مع ريدان، لكي تشكره وتجازيه على إنقاذها، والباقي بقي لكي يحارب من أجل الغاية التي جاء من أجلها.

يوماً ما

غزى الشفق رحابة السماء، وانصرم النهار وبدأ الفسق
يحوط أسوار المدينتين وقلاعها.

قعد ريدان بالجوار من تيم وقصي يضمد جرحه
المكلوم، اقتربت منهم الفتاة في خطوات هادئة
وهمست في حياء: « هل تحسنت؟ ، متأسفة للغاية
ما كان عليك مساعدتي.»

هتف قصي في احتجاج: « لا مشكلة، لا فائدة للندم
الآن، كما أنه جرح قبل أن يهرع إلى مساعدتك، صحيح
أن هروعه إلى مساعدتك زاد الجرح عمقاً إلا أنه الآن
بخير لذا لا تقلقي.»

قاطعه تيم مخاطباً الفتاة: « هل تحتاجين يا آنسه إلى
المساعدة؟ أنا حاضر في أي وقت.»

صرخ قصي في وجهه وقال: « اصمت ولا تنبس
بكلمة، اسمعوا من يتكلم الآن!، لم تسع لنجدتها
عندما كانت في أمس الحاجة لمساعدتك.»

يوماً ما

التفت تيم بخيلائه المعهود، ثم سحب قصي طرف قميصه وقال له بنبرة هادئة : « تعال !، دعهم يقضون بعض الوقت لوحدهم ».

استجاب تيم لطلب قصي، وذهبا صوب الرجل الذي يطمع في الحكم.

ساد الصمت بينهما لبرهة من الزمن، تجرأ ريدان وقال في تردد وهو مطرق : « إذاً كيف حال جرحك هل برئ؟ ».

اجابته في تلعثم : « نعم ».

أمعن ريدان التفكير في صمت، كانت الأفكار التي تجول في خاطره مجرد اسئلة يريد الإجابة عليها، هل من الحكمة أن يسألها؟ وهل ستجيبه؟ ، أم أنها ستتركه وحيداً هو وسؤاله وترده يجر أذيال خيبة عدم إجابته ، ولكنه استدرك وقال لم لن تجيبني؟! ، ربما لأنها ستفكر أنني أريد أن أحصل على شيء منها أو أنني سأستغلها، ماذا أفعل؟

يوماً ما

ألقى مرساة أفكاره أخيراً على السؤال الخاص بإسمها،
همس بصوت منخفض : « هل يمكنك إخباري ما
اسمك ؟ ».

أومأت برأسها موافقة وقالت بصوت متهدج : « ليان ».

ثم أضافت في خجل: «.. وأنت؟ ».

- اسم جميل، أناريدان .

ثم همست بصوت خفيف يكسوه الحياء : « هل
يمكنني أن أطرح عليك سؤالاً؟ ».

- بالطبع، تفضلي .

التصقت نظراتها بالأرض حياء وقالت بصوت متهدج :
« لماذا خاطرت بحياتك من أجلي ؟ ».

ساد الصمت لهنيهة ثم ألحت في تردد : « أجبني ».

- لا أعرف، شيء ما دفعني إلى فعل ذلك .

قاطع حديثها صوت أبلس وهو يقول : « كيف أصبح جرحك ؟ ».

عبس ريدان في انزعاج : « إذا كنت تريد قتلي ! ».

تهانف أبلس حتى رجع القهقري وأضاف : « لا أيها الأحمق، أنا كغيري من الجنود، عبدٌ مأمور ».

- إذا هل كانت الأوامر أن تقتلني ؟! .

- لم أت لكى نتشاجر، الملكة تطلب رؤيتك .

حذق ريدان بعدم استيعاب، وتخللت مشاعر الحيرة والاستفهام محياه : « أنا ؟! ».

- نعم، أنت .

- لم أنا بالذات ؟! .

- الحقني بسرعة ولا تثرثر .

نظر ريدان إلى ليان متعجباً، ثم لحقه.

لأطته ليان بعينين متوسلتين حتى تواري، وكأن لسان حال عيناها ، توصلان رسائلاً صامته من خلال بريقهما فحواها « اهتم بنفسك، عد أرجوك، أنا انتظرك ».

لحق ريدان أبلس في خوف وهو يتكهن حول الأسباب التي جعل الملكة تدعوه، ومالذي تريده منه .

دخلا القصر معاً، ثم مثلاً أمام الملكة، قال أبلس في وقار « جلالة الملكة، أقدم لك ريدان ».

كانت حاشية الملكة ينظر بعضهم إلى بعض ثم يتسموا، ارتعد ريدان، وتسارعت نضبات قلبه بالخفقان .

نهضت الملكة من على عرشها وقالت في انشراح : « أهلاً، بالبطل الشجاع ريدان ».

التصقت نظرات ريدان في الأرض ليس خجلاً من حسننها الخلاب، بل كان يرى أن ليان أجمل منها بالرغم أن الفوارق بينهما كبيرة، ولكنه كان يطرق خوفاً منها ومن كيدها .

قال ريدان بصوت متهدج : « أنا طوع بنانك مريني انفذ ».

استطردته في تفنح ودلال : « ما بك ؟ ، لا تخف مني، أنت شاب شجاع، لقد طلبت رؤيتك لكي أوكل إليك مهمة، لكي تتعود على أمور الحكم، فأنا أرجو أن تكون أنت الفائز ».

أخرد ريدان ثم قال : « ماهي المهمة ؟ ».

أجابته في استبشار وانشراح : « اذهب وأخبرهم أن يجهز كل منهم كلاماً يمدحني به لا يهم إن كانوا لا يجيدون وزن الشعر أو سرد الكلام ولكنني أريد أن أسمع منهم، ماعدا تلك الفتاة لا أريد منها شيئاً، موعد التسليم في الصباح ».

يوماً ما

خرج ريدان في عجل عائداً إلى رفيقيه، ما إن وصل إليهم إلا وقصي يستشرفه وينتظره في شغف، صاح قصي في تأثر: « لقد عاد ».

ثم حدجه بعينين تبثان الدهاء: « ماذا حدث؟، بخ بخ لك ياريدان، كنت بالأمس متسابقاً مثلك مثل أي متسابق بسيط واليوم جلالة الملكة تطلبك، ما أسرع تعاضم مكانتك، اخبرنا ماذا تريد منك بسرعة؟ ».

- لقد طلبت منا جميعاً أن نجهز كلاماً نمدحها فيه وتريده في الصباح وأضافت أنها لا تهتم لسرد الكلام أو أوزن الشعر، وأعفت ليان عن ذلك ».

صمت الجميع واتسعت عينا قصي دهشة، ثم أدار لسانه كعادته على شفثيه وقال: « كلاماً ندمحها فيه!، هل حددت كم تريد؟ ».

- لا .

قال تيم في تبختر: « انصحكم جميعاً بالإنسحاب فأنا من سيفوز بهذه المرحلة ».

قال الرجل الغريب: « ولم أعفت الفتاة عن ذلك؟ عنصرية نساء ».

تريد وجه ريدان من الغضب وعبس في انزعاج: « وما شأنك أنت؟ ».

قاطعه تيم قائلاً: « تريث يا صاحبي، دعنا نشرع في الكتابة فالقمر تكبدت السماء والليل سيزول، الوقت يداهمنا ».

فطن الجميع لهذا الأمر وافترق الجميع، أما ريدان فكان يريد أن يخبر الفتاة بأنه يحبها ويصارحها بذلك، لقد عرف ذلك من خلال زيارته للملكة، لأنه لم يلتفت إليها وكل جمال في عقله وقلبه يتجسد فيها، اقترب منها بخطوات هادئة، رفعت رأسها بدورها متسائلة، قال بدون تردد: « أريد أن أخبرك شيئاً ».

- تفضل.

- سأقول شيئاً ربما سيكون مزعجاً بالنسبة لك، لذا أرجو منك عدم الانزعاج، وتجاهلي كلامي إذا لم توافقي عليه .

- حسناً.

كانت الكلمات تتحشج في صدره، ولم يكن يستطيع إخراجها، بعد برهة من الزمن وبعد محاولات فاشلة أخيراً تملكته الجرأة وقال لها بكل شجاعة وفي تأثر باد : « أنا أحبكِ ».

أطرقت ليان في حياء وتورد خذاها حياء، وساد الصمت بينهما لبرهة من الزمن، ألقى ريدان اللوم على نفسه، ما كان عليه أن يخبرها ! ، لن تعود تثق به كما في السابق، كانت تلك البرهة من الزمن بالنسبة له سويعات كثيرة من اللوم والعتب

يوماً ما

بينما هو يفكر كيف أنه أخطأ بحقوقها، طرقت مسامعه في لطف عبارة : « وأنا أحبك ».

اتسعت عيناه دهشة وتسمر مكانه ولكنه في كيانه يرقص طرباً، تخللت مشاعر السعادة كل نواحي جسمه، وشعر بنشوة باردة انتشرت في جميع أنحاء جسمه، وكأنه ملك العاجلة بما فيها، ثم سألها محاولاً إخفاء إنفعالاته : « ما الذي جعلك تقعين في حبي ؟ ».

قالت في حياء : « إنه الأمان، نعم الأمان ، عندما عرفتك جعلتني أشعر بطمأنينة وكأنني لم أشعر بها من قبل، عندما أراك أحس بكل الأمان، لم تغريني ثيابك، أو ملامح وجهك، مثلما أغراني الأمان في وجودك ».

قال لها ريدان في بشارة : « أعدك بأنني سأجعلك ملكة على العاجلة ».

نظر كل منها إلى الآخر في حياء جم، ثم استطردتها ريدان قائلاً : « إذا دعيني أكتب للملكة، لقد شارف الليل أن ينجلي، هل يمكنك مساعدتي ؟ ».

- وكيف أفعل ذلك ؟ .

- كل ما عليك فعله هو الجلوس بجواري والإبتسام،
ثم دعيني اتفرس ملامحك، فأنت بالنسبة لي منظر
خلاب، هل أنت موافقة ؟ .

انطلت على شفيتها ابتسامه حياء، ثم أومات برأسها
موافقة.

أما قصي وتيم فكانا يتشاجران لسبب ما كعادتهما،
أما الرجل الغريب كان يقعد لوحده في لائمه وينظر
إليهم في خبث.

كان ذلك اليوم بالنسبة إلى ريدان هو أجمل يوم يمر
عليه في حياته، كانت النجوم تتلألأ في عينيه وترتسم
صورة ليان في رحاب السماء.

بدأ الفلق بالطلوع وبدأت تباشير الصباح تعم أرجاء
الأرض، استيقظ الجميع ثم صاح بهم المنادي لكي
يمثلوا أمام الملكة.

مثل الجميع أمام الملكة، وطلب من ريدان أن يتقدم عليهم ويكون أول من يلقي ما كتب، تقدم ريدان وقال :

« أول بيت لي في الغزل
قل لي ماذا حصل ؟
رأيتها فسال دمعي والفتؤاد أمتثل
عينايدها كالنجم إذا أشتعل
بل قمر حين أكتمل
وبسمتها كأنها ورد اکتحل
وجسمها كدقيق إدانتهل
قلبي متيم والبال بها انشغل
وقلبي بها ولها انقفل
والجسد عن الروح انفصل
وعقد جأشي انفتل
لماذا هي عن غيرها ؟
هل الورد كالبصل ؟
عذابي بها إلم
يكن بها وصل .»

صفقت الملكة في حبور وشفق كل حاشيتها، وذهل الجميع مما سمع، لم يكن يعتقد أي منهم أن ريدان يمكنه التغزل هكذا، ولكن كلامه الصادر من قلبه لم يكن خالصاً إلا لليان فهي من كان يقصد .

ثم جاء دور تيم بعده وبدأ في إلقاء قصيدته :

« كان بإمكان ...

في البستان...

زهرة تتزين بها الوديان ...

وتعزف من أجلها أروع الألحان...

وحلاوتها تسلب الأذهان ...

ريق شفتيها قطرات الرمان...

وفي يديها دفء الأحضان ...

أسرت قلبي كأنها سجان...

كأنها للعطشان ...

ريان...

أما عن رشاققتها رشاقة غزلان...

آه والخدان..
زهور في كل بنان...
أما جفناها فخان ..
لعينين تحمل الطفيان....
ورائحة طلتها عبق الريحان ...
حسنها يطفى على كل حسن في كل الأزمان..... «.

ثم جاء دور قصي : «

وريق شفتيك لي سُكْرُ

وأنت لروحي طبيبُ

بريق عينيك لي دليلُ

وقدومك صعود على المنبر خطيبُ

أقولها تعجباً والكل يسمعي

كيف يحيى من لم يكن لديه حبيبٌ؟! «.

سخر منه تيم وقال : « أيها البخيل إنه ليس مالاً إنه كلام ».

تريد وجه قصي من الغضب ثم همس في أذن تيم : « ماشفع لك أننا في حضرة الملكة وإلا لكنت قتلتك ».

قال أبلس : « هيه... , أيها الرجل حان دورك ». موجهاً خطابه إلى الرجل الغريب، تلعثم الرجل الغريب وقال : « لم أكتب شيئاً ».

قال له أبلس مهوناً : « لا يهم، كل هذا كان من أجل أن تتسلى الملكة وليس جزءاً من المسابقة ».

هتف قصي في احتجاج وخرج عن طور صمته : « ما هذا؟! , والوقت الذي أضعته في كتابته؟! , هل تعلمون نوايا هذا الشخص؟! , لقد أخبرنا أنه يحب السلطة والنساء والمال، يحب كل شيء، كل غاياتنا جمعها هو، إنه يفكر بخبث يقول أنه إذا مافاز سيجعل الملكة جارية له تفسل ثيابه وتقبل حذائه وأنت يا أبلس، قال سيقطع رأسك ويعلقه على باب القلعة ».

نظر أبلس إلى الملكة ثم ابتسما، ثم التفت إلى قصي وقال له : « لا شأن لك في نواياه ».

أقرّد قصي، وتريد وجهه من كثر ما لقي من إهانة، ثم سمح لهم بالإنصراف ماعدا تيم فإن أبلس أمره بالبقاء وقال للبقية بأنه سيتم مناداتهم كل على حدة، انصرف الجميع وبقي تيم، ثم قال أبلس : « أيها الحراس .. ، أحضروا المرآه ».

جر الحراس مرآة كبيرة ووضعوها أمام الملكة، ثم قال له أبلس : « تقدم وأنظر إلى المرآة وقلنا ماذا رأيت ! ».

تقدم تيم ونظر إلى المرآة، رأى أبلس مدبّجاً، مسخاً، دميم الخلقة مشوه الملامح، ورأى أن الملكة قبيحة شمطاء لخواء لخصاء العينين، وكان بجوارهما كثير من الأموال، ورأى نفسه يتزوج الملكة القبيحة، ويصبح ملكاً ويحكم المدينة .

دهش تيم مما رأى وتراجع خوفاً وقال : « أرى أشياء قبيحة جداً، ماهذا؟! ».

صاح أبلِس : « أيها الحراس اقطعوا رأسه ».

نفذ الحراس الأمر وسحبوا جثته، ثم نادوا على قصي وطلب منه أبلِس أن يقف أمام المرأة، وقال له ما قال لتيم، رأى قصي مثلما رأى تيم، ولكن مالفت انتباهه ليس قبح الملكة أو أبلِس، كل مالفت انتباهه هو المال الكثير، اتسعت عيناه دهشة وطمعاً وقال في هدوء : « مال كثير وخير قادم ».

قال له أبلِس انصرف، التفت قصي إليه في تساؤل وقال : « هل هذا كل شيء؟! ». عبس أبلِس في غضب وقال : « اتبع الأوامر، ولا تنبس بكلمة ! ».

انصرف قصي وهو يتسائل ماذا جرى لتيم !.

نادى الحراس على ريدان، خافت ليان وارتعد كيانها خوفاً على ريدان همست بصوت متهدج وهي ترمقه بعينين متوسلتين : « اهتم بنفسك جيداً ».

التفت إليها ريدان وحدثها بعينين شجاعتين وقال : « لا تقلقي سأعود، أعدك ».

جالت الأحداث في مخيلة ليان، وتصورت جميع الأحداث وتكهننت حول ماسيجري له، ما كان يطمئنها هو أنه قطع لها وعداً بالعودة إليها .

دخل ريدان على الملكة وأجلس ثم طلب منه التقدم، تقدم ريدان ثم نظر إلى المرأة ورأى مثل مارأى صديقاه، ولكن العروس هذه المرة لم تكن الملكة، بل كانت ليان، قال أجلس له : « ماذا رأيت؟! ».

ابتسم ريدان ثم تناول تنهيدة من كل أعماقه وقال : « مال نفاذ ، وملك زائل ، وعروس جميلة ».

طلب منه الإنصراف نحو الباب الخلفي، ثم انصرف، لم تقل حيرة واستغراب ريدان عن حيرة قصي عن سبب طلبهم الرؤية إلى المرأة.

طلب من ليان الدخول، ثم طلب منها أن تخبرهم ماترى، كانت ترى مايرى أي متسابق من قبح الملكة وأبلس، ثم لمحت أنه يتم إقامة حفل زفاف، وأن العريس هو ريدان آجالت ببصرها لتعثر على العروس، كان وجه العروس مشوشاً لم تستطع أن تتعرف عليه، أمعنت النظر حتى تبين لها، كانت هي العروس، « إنها أنا ».، تمتت بهذه الجملة مرات عديدة وطال الزمن بها، إلى أن صاح أبلس في انزعاج : « قولي ماذا رأيت؟! ».

انتبهت للأمر واجابت قائلة : « الأمان يرتدي زي الجمال ».

تريد وجه الملكة غيرة وكرها، وقالت لها : « الأمان يتقمص شخصية الخيال، انصرفي ».

انصرفت ليان باتجاه الباب الخلفي، والدنيا لا تسع فرحتها، كانت تتمنى أن يصبح الخيال حقيقة، وأن تجتمع بريدان .

يوماً ما

نظرت الملكة إلى أبلس في غيظ وقالت في انزعاج : «
إنها متعجرفة، راقبهما».

انحنى أبلس احتراماً لها وقال : « سمعاً وطاعة ،
جلالة الملكة ».

تمتم أبلس قائلاً : « مولاتي، تبقى متسابق واحد، هل
ندخله؟! ».

استرخت ملامح الملكة وقالت في تهكم : « تقصد
ذلك الحقير ، الذي سيجعني خادمة له؟! ».

ابتسم أبلس في سخرية وقال : « نعم يامولاتي ».

قالت الملكة في سخرية جمّة : « اضمن لك يا أبلس
بأنه سيفوز ».

- أعرّف ذلك يامولاتي.

نادوا على الرجل ثم دخل عليهم، ثم طلب منه أبلس أن ينظر إلى المرأة وأن يخبرهم ماذا يرى!، قال الرجل: « أرى ملكاً عظيماً، وخادمة عاصية، وعدواً رفيقاً ».

ضحك كل من الملكة وأبلس وصدقاً له، ثم أمره أبلس بالإنصراف.

اجتمع الجميع وتبين لهم أن تيم قتل وأن سبب قتله هو رؤية بشاعة الملكة وعدم مجاملتها، فهو معروف أنه مفرم بالنساء، فلم يتحمل قبح الملكة، وأبداً اشمئزازه من قبحها، لم يكن الجميع مشغولون بقبح أو جمال الملكة!، ما كان يشغل بالهم هو مارآه كل واحد منهم وهو الشيء الذي أتى من أجله، فريدان وليان كانا مشغولين ببعضهما البعض، وقصي مشغول بالمال الكثير، والرجل مشغول بالحكم الذي سيحصل عليه.

« لقد عدت مثلما وعدتك ». جملة قالها ريدان لليان في انشراح وهو يبشرها بعودته .

- كنت أعرف أنك ستعود .

- كيف ذلك؟ .

- ألم تعدني بالعودة ؟ .

- نعم، فعلت ذلك .

- لهذا كنت متأكدة بأنك ستعود، أنا اصدقك في كل شيء، ريدان مارأيك في أن ننسحب ونذهب للعيش في المأوى ؟ .

- اممم، لا لم يتبق إلا القليل .

- ولكنني أخاف أن يفقد أحدنا الآخر ! .

- اطمئني، لن يحصل شيء سأحميك وسأظل بجوارك .

- حسناً ، هل يمكنك أن تقبل مني هذه الهدية ؟ .

- نعم بالطبع .

- خذ هذا القرط كذكرى، وأنا سأتقرط بالآخر .

- حسناً سأحتفظ به، شكراً لك.

بينما كان ريدان وليان يتهاديان الأشياء، أتى أحد الحراس إليهم واخبرهم أن عليهم المجيء معه، لحق الجميع بالحارس وبات يدخل كل شخص منهم غرفة انفرادية، واخبرهم أنهم سيبقون في غرفهم حتى الصباح، وأضاف بأن غداً سيكون آخر مسابقة، فرح الجميع بسماع هذا الخبر، وعلموا أن المسابقة شارفت على الانتهاء، ولكن ماكان يشغل بالهم ، من الفائز ؟ ، وهل سيموت أحد الليلة ؟، وكيف ستكون نهاية المسابقة ؟ .

يوماً ما

دخل الجميع إلى الغرف الخاصة بهم، وأوصد الباب عليهم، كان أول ما رأوه، قليل من الطعام والشراب وخيط يتدلى من السقف وجملة علقت في أحد جدران الغرفة مكتوب عليها : « كل مافي الغرفة ملك لك ».

انكب الجميع يأكل في شراهة، فهذه أول مرة يقدم لهم الطعام منذ بدأوا في المسابقة.

أنهى قصي طعامه، ثم استلقى على ظهره ملقياً مرساة تعبته، ثم بعد قليل أدرك الحبل الذي يتدلى من السقف ولمح بجانبه قطعة نقود تكاد أن تسقط، وفطن أنه لو سحب الحبل سيفتح باب، السبيل إلى فتحه هو أن يقوم أحدهم بسحب الحبل، توقف لهنيهة مفكراً، هل هذه خدعة ؟ ، أم أنها مفتاح للفوز في المسابقة غدا ؟ ، ربما غداً يطلبون منا قطعة النقود !، ياه ربما خلف هذا الباب الذي على السقف كثير من المال ! ، ولكن مالي وللمال ، سأصبح حاكماً واقوم بأذهن ، ماذا لو لم أصبح ملكاً ! وأغادر المكان ويدي خاويتان ! ، لقد كتب كل مافي الغرفة ملك لك ! ، ماذا أفعل ؟

هل انتظر حتى الصباح ؟ ، لا لن انتظر ! ، سأنام على كومة من المال ، بدلاً من هذا الحجر عديم القيمة.

تملكته الجرأة أخيراً وقرر أن يسحب الحبل، نهض واستعد، ثم سحبه، انهالت عليه قطع نقود وذهب كثير كادت أن تقضي عليه لولا أنه تجنبها وصعد عليها، عمت الغرفة ووصلت إلى المنتصف، صاح قصي بصوته في دهشة : « أنا غني ، سأنام فوق كومة من الذهب، هذا جنون لقد كان مجرد خيال، وأصبح حقيقة ».

لم تقنع نفسه في المال، وفكر لو سحب الحبل مرة أخرى يمكنه الحصول على ضعف المال، سحبه بدون تردد، وانهالت عليه القطع النقدية حتى غمرته وقطعت أنفاسه، حبه للمال لم يجعله يفكر أن ضعف المال لن يجعل له مكان يبقى فيه.

يوماً ما

أما ريدان فلم ينظر إلى الحبل ولم يفكر فيه، ظل يرمق القرط ويتفرسه فيقبله تارة ويحضنه تارة أخرى حتى الصباح.

أما ليان، فقد كانت مرهقة جداً ، تناولت طعامها بسرعة، ثم غطت في النوم.

أما الرجل لأن أفكاره خبيثة ، فطن للخدعة ولم يقترب من الحبل .

تصرم الليل، وتفرق شعاع الشمس أرجاء الأرض.

سمع كل المتسابقين صرير الباب وهو يفتح، وهب الجميع من نومه، لم يكن يعلم الجميع أن قصي لقي حتفه البارحة في غرفته، ولم يعلموا أنه صباح خالي من قصي الذي كان يدور لسانه على شفثيه، ولن يحسوا بعد الآن بشعور حب المال.

يوماً ما

اجتمع المتسابقون في حلبة أشبه بحلبة نراع، أجالت ليان ببصرها عليهم لم ترى قصي، أين ذهب قصي ياترى؟! هل مات بالأمس، أم أنهم قتلوه؟! ، الحمد لله ريدان هنا ، إنه الرجل البغيض، إن النظر إليه كفيل بجعل النفس تشمئز، لم يتبق الآن سوانا نحن الثلاثة، هذه آخر مسابقة من يفوز بها ياترى؟ .

أطل عليهم أبلس، وهو يقول باستبشار : « هنيئاً لكم وصولكم إلى هذه المرحلة ».

ألقي كل واحد منهم بصره إلى الآخر منتظراً اعلام أبلس بها.

نادى أبلس الحراس : « أيها الحراس ، أحضروا الأسلحة ، ليان تنحي جانبا، سيأتي دورك قريباً ».

يوماً ما

" أسلحة ... هل يريدون منا أن نتقاتل ". هذا مجال في خاطر ريدان أثناء سماعه لأبلس، أما الرجل فلقد كان مسروراً، فلقد كان مفتول العضلات ممشوق الهامة، بالنسبة إلى حجم وطول ريدان .

أحضر الحراس الأسلحة تزامناً مع حضور الملكة، التي أتت بدورها وجلست على عرشها الذي يطل على الحلبة.

أملى أبلس عليهما شروط المسابقة قائلاً : « لتتبارزا والذي يتغلب على الآخر يفوز ».

هتف ريدان في احتجاج : « ماذا تقصد ب يتغلب ؟ ، هل تقصد أن الذي سيقتل الآخر سيفوز ؟ ».

اجابه أبلس : « نعم هذا ما أقصد ».

التفت ريدان إلى الرجل وقال له : « لا أريد أن أقاتلك ؟ ,
لننسحب ».

صرخ الرجل في غيظ : « ماذا تقول ؟ , انسحب ! , هل
أصاب عقلك شيء ؟ , أم أنك تهذي ؟ , وصلت إلى
هذه المرحلة وتريد مني الإنسحاب ! ».

استقرت نظرات ريدان في عيني الرجل : « ولكنني لا
أريد أن أقتلك ! ».

قال الرجل في غيظ : « أما أنا فأود أن أقتلك ».

أدرك ريدان أن لا خيار لديه سوى أن يقاتل, لأنه لو
انسحب ربما يقاتل ليان ويقتلها, ربما لن تتراجع, كما
أنه يريد الوفاء بوعدده لها بأن يجعلها ملكة على
العاجلة , قال في حزم : « سنرى ذلك ».

صرخت ليان في رجاء وهي ترمق ريدان بعينين متوسلتين : « ريدان ! ».

التفت إليها ريدان وفهم ما ترمي إليه وترجم بريق عينيها المتوسل : « لا تقلقي، سأكون بخير، أعدك بذلك ، هل أخلفت لك موعداً من قبل ؟ ».

هزت ليان برأسها نافية ثم قالت : « أثق بك ».

استعد ريدان للقتال وأبّ إلى سيفه ، وقام الرجل بدوره بحمل سلاحه أيضاً ، ثم بدأت المسابقة .

كانت ليان تنهار مع كل ارتطام للسيفان مع بعضهما ويسمع صليلها، لو كان باستطاعتها أن تقاتل بدلاً من ريدان لفعلت، ولكن لم تكن باليد حيلة، هذه الشروط والقواعد التي عليها الإلتزام بها.

يوماً ما

استمرت المسايفة لزمان طويل حتى نفح الرجلُ ريدانَ بسيفه، وقع ريدان على الأرض، وشهر الرجل السيف على وجهه وكاد أن يقضي عليه، أغمضت ليان عينيها وهي ترجف خوفاً وتتمنى أنها تحلم وأن كل مايجري مجرد كوابس أحلام.

بينما كان الرجل مستعداً للقضاء على ريدان، مرق سهم غرب حنجرته حتى اخترق جسمه وخرج من الجانب الآخر من جسمه.

تلطخ وجه ريدان بالدم الذي ينتع من حنجره الرجل، نهض ريدان في فزع متسائلاً من فعل ذلك، ثم التفت إلى خلفه ليرى الملكة تمسك القوس .

يوماً ما



خطوات أبلِس

بعد أن قامت الملكة بقتل الرجل لكي تنقذ ريدان من الموت الذي كان يحيط به، جلس ريدان وليان ينتظران ماذا سيحصل ، قدم أبلس وهو يقول : « تبقى شيء واحد ياريدان لكي تصبح الملك ».

رفع ريدان رأسه في تساؤل : « ماهو ؟ ».

اجابه أبلس وهو يبتسم في خبث : « أن تقتل ليان ».

نظرت إليه ليان في صمت واللفظ يكسو عينيها، وكأنه تقول له : « هل ستفعلها حقاً ياريدان ؟ ».

هتف ريدان في احتجاج : « ماذا تقول لن أفعل ذلك أبدا ».

- امم سأذهب إلى الملكة أخبرها بذلك ، ولكن انصحك باتباع الأوامر لم يتبق شيء سوى قتل هذه الفتاة، كما أن عليك أن تكون شاكراً للملكة لأنها أنقذت حياتك .

- احتفظ بنصيحتك لنفسك، كما أنني لم أطلب منها أن تنقذني، لما لم تدعني أموت في تلك اللحظة، ذلك أهون عليّ من هذا .

- كما تريد .

ذهب أبلس يخبر الملكة، والتفت ريدان إلى ليان وقال لها وهو يطمئنها : « لا تقلقي لن أفعل ذلك ».

ابتسمت ليان بلطف وقالت : « افعلها ياريدان ، لا يهم، لا تهتم لأمرى، تابع حياتك بدوني، انج بنفسك سيقتلونك إن لم تفعل ذلك ».

- لا تقولي ذلك، سأموت ولا أقوم بلمس شعرة منك بسوء .

- لن يطيب العيش بدونك، سنموت معاً أو نعيش معاً .

- لا تقلقي سأجد حلاً .

عاد أبلس ونظر إليه بحزم وقال : لقد حملت إليك ستة خيارات اختر أيها شئت :

الأول : أن تقتل ليان و تصبح ملكاً على العاجلة.

الثاني : أن تتزوج الملكة وتترك ليان تذهب في حال سبيلها ولا تقتلها .

الثالث : أن تتزوج ليان والملكة معاً .

الرابع : أن تترك ليان والملكة معاً.

الخامس : أن تتزوج ليان بشرط أن تكونا خادمين للملكة.

السادس : أن تتزوج ليان لمدة من الزمن ثم تتركها .

وأعلم ياريدان أنك إذا لم توافق على أحد الخيارات ستقتلك الملكة أنت وليان معاً».

أطرق ريدان مفكراً، ثم رفع رأسه وقال: «

أما الأول : فلا تحلم أنني سأفعله .

أما الثاني : فإنني لا أرغب أن تصاب ليان بأذى سأسألها عن الأمر هل ترضين أن أتزوج الملكة وأنت تذهبين في حال سبيلك؟ ، أنا أحبك ولكن لا أرغب في أن تتأذي بسببي.

هزت ليان رأسها علامة على عدم الموافقة وقالت بكل حنو : « لن أتركك لوحدك، سنواجهه هذا معاً».

التفت ريدان بعز وفخر وقال:« قد سمعت منها، ما كنت أود قوله، لقد وفرت علي عناء الكلام...

أما الثالث : فإنني لا أستطيع أن أقسم الحب نصفين .

يوماً ما

أما الرابع : فلينقطع نفسي إذا عشت لحظة بدونها .

أما الخامس : ما طاب العيش إذا صرت عبداً.

أما السادس : لا لن أتركها أبداً.

همهم أبلس وقال: « إذا هذا هو قرارك، لم لا تتذكر أن الملكة قامت بإنقاذك؟، رد الجميل لها على الأقل».

- لم أطلب منها مساعدتي .

أمسك ريدان بيد ليان وطلب منها الخروج معه من هذه المدينة، غضب أبلس كثيراً وصاح بهما: « هل تظن أنك ستذهب بهذه السهولة؟ ».

- افعل ما شئت فأنا باق على كلامي .

- أعطيني يدك، دعينا نذهب ونعيش معاً في المأوى،
دعينا نترك الملك والسلطة، دعينا ننجو بحبنا من
جشع المال، دعينا نحب بلا ظلم أو دماء .

- أنا لأمرك طائفة سامعة.

أحس أبلس بأنهما مصران على أمرهما فقرر
استلطافهما، ثم هرع إلى مخاطبتهما يهون عليهما و
يخبرهما أن يبقيا و أنه يمكنها العيش بسلام و
الحصول على الملك و ألا يباليا بأمر الملكة .. صاحت
الملكة من بعيد وجرت نحوهما وهي تطلب منه عدم
تركها وتقول بأنها ستكون خادمة له وليفعل مايشاء،
وأبلس يخبره بأن الباب بعيد وأنه لن يستطيع فتحه
لأنه صعب الفتح، ولكن ريدان كان قد حسم أمره
بالذهاب وترك كل شيء.

أخيراً قرر أن يفتح الباب متجاهلاً صياح أبلس
والملكة.

جرت الملكة القهوسة منحنية تضطرب، وخامر
الشحوب بشرتها الناصعة، ومشيت المعثاء، وشاه
جسمها حتى صار دقيقاً ثم سقطت على الأرض وإذا
بها تصبح تراباً، ثم هبت ريح حاصب عليها ورفعتها إلى
الهواء ثم ذهبت، أما أبلس فقد تضرمت النار وأجت
في جسده ثم هبا كالجمر، ما إن غادر ريدان وليان
العاجلة حتى ساخت بمن فيها.

ثم عاش كل من ريدان وليان في أرض المأوى
مطمئنين، بعد أن نصبوهما ملكين عليها.

يوماً ما

لم يكن ريدان إلا شخصية تتقمص شخصية أي واحد منا يختار الطريق الصحيح، ولم تكن ليان إلا شخصية تتجسد كل امرأة صالحة تتمسك بزوجها وتقف بوجه الصعوبات معه وتكون سنداً له قبل أن تكون أنيسة له.

دعونا من فوارق أنهما ليسا زوجين، وأنهما حبيبان ولم تربطهما علاقة شرعية بعد، الفكرة التي أردت إيصالها هي أن كل شخصين يتمسكان ببعضهما البعض ويتغافلان عن كل ما يحيط بهما، وبالرغم من المفريات التي تقدم لهما، إلا أن كلاهما لا يريد غير الآخر.

أما الملكة فقد جسدت شخصية الحياة الدنيا وكل امرأة سيئة، تعتقد أن بإمكانها من خلال جمالها أو مالها أو نفوذها أخذ أي رجل، أقصد هنا رجلاً بمعنى الكلمة.

يوماً ما

أما شخصية أبلِس فمثلت شخصية إبليس الذي يحاول في كل مرة إثبات عداوته لنا، ولم أستشهد في الأسماء من شخصيات الرواية إلا شخصيته، وأبلس من رحمة الله أي يئس ونَدِمَ ، ومنه سمي إبليس.

أما قصي الرجل المحب المال والذي قد يفعل أي شيء للحصول على المال.

أما تيم فيمثل كل من فتن بالنساء والذي جعل حياته قائمة عليهن.

ذكر ابن القيم ست مراحل يتدرج فيها الشيطان
للسيطرة على الإنسان وهي:

المرحلة الأولى: يسعى أن يكفر الإنسان أو يجعله
يشرك بالله.

المرحلة الثانية: مرحلة البدعة ويقوم في هذه المرحلة
بجعل

الإنسان يبتدع البدعة ويطبقها، فإن لم يستطع بدأ في
المرحلة الثالثة.

المرحلة الثالثة: مرحلة المعاصي الكبيرة، فإن كان
ذلك الإنسان قد عصمه الله من الكبائر بدأ في
المرحلة الرابعة.

المرحلة الرابعة: مرحلة الصفائر (صغار الذنوب)
ويقوم بتزوينها له ويقوم بتقليلها وتصغيرها للإنسان،
فإن عصم منها بدأ في المرحلة الخامسة.

يوماً ما

المرحلة الخامسة: أن يُشغَل الإنسان بالمباحات بحيث يشغل الإنسان فيضيع أوقاته في الأمور المباحة.

المرحلة السادسة: وهي أن يُشغَل الإنسان بالعمل المفضول عما هو أفضل منه، بعمل معين طيب، ولكنه ينشغل به عما هو أطيّب وأفضل منه.

چي ووما